شرح العلامة أحمذ بن زياد الديماني الأبهمي

المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ

على ألغاز العلامة المختار بن بون الجكني

الموجهة للشاعر

مولود بن أحمد الجواد اليعقوبي

رحمهم الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبيه الكريم

قال العلامة الحبر الفهامة المفسر أحمذ بن زياد يشرح قصيدة الشيخ النحوي المنطقي المحرر الإمام المختار بن بون:

أحاجيك هذا النور قل ما وجوده بقلب الذي يتلو ويقرأ بالفم
أينمى لما ينمى له وهو قائم بذات العلي العالم المتكلم
أتجعله إذ ذاك وصفا محله ذوات الورى أم ذو الجلال المعظم

السنوسي إطلاق السلف رضي الله عنهم على كلامه تعالى أنه محفوظ في الصدور مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف هو بطريق الحقيقة أي اللغوية والشرعية لا بطريق المجاز وليسوا يعنون بذلك حلول كلام الله تعالى القديم هذه الأجرام تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وإنما يريدون أن كلام الله تعالى مذكور مدلول عليه بتلاوة اللسان وكلام الجنان وكتابة البنان فهو موجود فيها فهما وعلما لا حلولا لأن الشيء له وجودات أربع وجود في الأعيان ووجود في الأذهان ووجود في اللسان ووجود في البنان فالوجود الأول هو الوجود الذاتي الحقيقي أي الحقيقة العقلية وسائر الوجودات إنما هي باعتبار الدلالة والفهم بهذا تعلم أن التلاوة غير المتلو والكتابة غير المكتوب لأن الأول من القسمين في هذه الأقسام حادث والثاني منها قديم لا نهاية له وبالجملة فالإطلاقات اللفظية تابعة للنقل من حيث إطلاقها ومعانيها تابعة للعقل من حيث الحمل عليها وإطلاق السلف على هذه الدلالة أنها كلام الله تعالى من باب إطلاق اسم الدال على المدلول انتهى فالدال على هذا المعنى هو المعنى القائم بالذات العلية والمدلول عليه المعاني والعبارات عنه قال علي الأجهوري قال السنوسي من باب إطلاق اسم الدال على المدلول ليس كذلك ولذا يوجد في بعض نسخه أي شرح الكبرى من باب إطلاق اسم الملول على الدال كما في شرح السنوسي نفسه قصيدة الجزائري وعلى كلا القولين فهو من المجاز المرسل وعبر عنه بعض المتأخرين بأنه من إطلاق اسم الدال على دال آخر اشترك مع الدال الأول في مدلول فأطلق اسم الصفة على العبارات وكلاهما دال على المعاني فجواب قوله ما وجوده بقلب إلى آخره أن وجوده في القلب والفم وجود غير خارجي كما قال السنوسي وقوله أينمى إلى آخره جوابه أنه ينمى له لكن بوجود غير خارجي لأنه معنى له والحال أنه قائم بالذات العلية وقيامه بها هو الوجود الخارجي الذاتي الحقيقي وجواب قوله أتجعل إذ ذاك أي حين كان محفوظا في الصدور ومقروءا بالألسنة

وصفا محله ذوات الورى إلى آخره أنه وصف قائم بذات الورى بالوجود غير الخارجي كما ذكر السنوسي

أيجعل مقسوما إلى لخبر الذي تضمن والإنشاء أم لم يقسم
كسائر أوصاف العزيز الذي علا علوا كبيرا جل عن كل موهم

الذي عليه أكثر أهل السنة أن الكلام واحد واختلف هل هو عار وجوهه في الأزل وإنما يوصف بها فيما لا يزال بناء على أنها أمور اعتبارية لا يحل حدوثها لقدم موصوفها أو موصوفا بها أزلا فهو مع حدوثه أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد ونداء وليس كل واحد من هذه الصفات معنى يقوم بالذات غير الآخر بل أمره تعلى عين نهيه وعين خبره وغير ذلك من معاني الكلام وتعلقه أزلي يدل أزلا على كل واجب وكل جائز وكل مستحيل اليدالي في الفرائد الطبل في محلة الملك يكون خبرا لقوم وأمرا لقوم وغير ذلك ضرب العلماء لذلك مثلا ولله المثل الأعلى قالوا كضربة الطبل في محلة الملك إلخ ورسم بعضهم الكلام بأنه صفة تدل على تقدير متعلقها لا ممتنعا كونه مفردا أو لازمه بها فخرج بلا بها القدرة والإرادة وبممتنعا كونها مفردا العلم والبصر والسمع ويدخل بقوله ولازمه بها أي لازم المتعلق الطلب أمرا كان أو نهيا فإنه لا يدل على تقدير المتعلق فإنه دال على تقدير لازم المتعلق وهو التكليف

وهل كان من مبدا لديك له إذن كما في كلام الحادثين ومختم

الأولى بهذا البيت أن يكون متصلا بالثلاثة الأولى أي له مبدأ ومختم لديك إذا قرأته كما في كلام الحادثين وجوابه نعم لكنه بالوجود غير الخارجي.

وهـــل بـــالوجود الخـــارجي اتـــصافه بإعجـــــازه المـــــذكور فيـــــه المـــــسلم
أم إعجـــــازه إذ باعتبـــــار وجـــــوده ســـوى الخـــارجي فارســـب لـــذا وتفهـــم

الوجود الخارجي لا يكون معجزة لأنه وصف قديم بالذات العلية والمعجزة فعل لله عز وجل وتعالى خارق للعادة إلى آخر الحد السنوسي احترز بقوله فعل الله من القديم فليس فعلا لله عز وجل تعالى فلا يكون معجزة فمعجزة القرآن في نظمه المخصوص واطلاع النبي صلى الله عليه وسلم دون سائر الناس ليس من كسب البشر وهما صفتان لله تعالى

ولـم لا كـلام النـاس يـدعى كلامـه ألـــيس هـــو المنـــشيه فـــي المـــتكلم
كمـا كـان هـو المنـشئ الجمـل الـذي بمثـــل ســـناها النـــاس لـــم تـــتكلم

إن أراد بكلام الناس تكلمهم بالقرآن العظيم فذلك فعل لله دال على معناه كلام الله ويدعى بكلامه حقيقة لغوية وشرعية ولا يجوز إطلاق الحدوث والفعلية عليه إلا في مقام التعليم ونحوه وإن أراد تكلمهم بغير القرآن فهو فعل لله محض لا يلتبس بالجمل التي إنشاء المراد بها كلام الله تعالى المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وهو النظم المخصوص الدال على مدلول الصفة القائمة بالذات العلية واختلف فيما يطلق عليه كلام الله تعالى من القرآن حقيقة هل هو الجاري على لسان أول متكلم به فقط فإطلاق كلام الله تعالى على كلام غير جبريل من باب التجوز أو حقيقة ما جرى على لسان أول متكلم وثاني متكلم وهما جبريل والنبي عليهما صلوات الله وسلامه ومجازا في غيرهما أو حقيقة في النظم المنزل مع قطع النظر عن جريانه على أي لسان كان فعلى الأولين فهو واحد بالشخص وعلى الثالث فهو واحد بالنوع

فإضافة الكلام إليه تعالى إضافة صفة إلى موصوف كعلم الله تعالى وإرادته وقدرته وكحسن زيد وسخائه إن أريد بالكلام المعنى القائم بالذات وإن أريد به اللفظ المنزل فإضافة خلق إلى خالق قاله في الفرائد وقال تعالى ألا له الخلق والأمر.

ومـــا خارجـــا حـــاز الوجـــود ثلاثـــة وجوداتـــه ذو الرســـم والـــذهن والفـــم

أي وجودات الكلام الثلاثة غير الذاتي لم تحز الوجود الخارجي كأنه أجاب عن الأبيات الأولى كما تقدم تبيين ذلك في كلام السنوسي وسيقول عنيدي إن حاجيته وأجبته إلى آخره

ومـا لـم يحـزه فيـه لـم يجـب انتفـا وجوداتـــه الأخـــرى الـــثلاث ويلـــزم

أي شيء لم يحز الوجود الخارجي لم تنتف عنه الوجودات الثلاث بل يوصف بالوجودات الثلاث شيء لم يحز الوجود الخارجي

ولـو لـم يكـن مثـل الـشريك بحـائز لهـــا لـــم عليـــه بالإحالـــة نحكـــم

أي لـو لم يكـن مثـل الـشريك مـن كـل ذهـني ممتنـع عقـلا بحـائز للوجـودات الـثلاث لم يحكـم عليـه بالإستحالة بل إنما يحكم عليه بالإستحالة بتقديره في الذهن وينطق باسمه ويكتب والحكم عليه يسمى في المنطق بالقضية الذهنية لا حقيقية ولا خارجية بل قسم ثالث ابن الطيب

وإن يك الوجود في القضيه*** ذهنا فقط فسمها ذهنيه

وصـــحح للمعنـــى التعلـــق مـــا متـــى إلـــى الـــذات ينظـــر فيـــه بـــالمنع يحكـــم

أي صحح للمعنى تعلقه بشيء اعتباري متى نظرنا فيه إلى كونه في الوجود الذاتي الخارجي القائم بالذات العلية نحكم بمنع ذلك التعلق أي نحكم بمنع ما تعلق به بالوجود غير الخارجي في الوجود الذاتي الخارجي كأنه أشار بالبيت إلى جواب الأبيات الأولى أيضا فتعلق كلام الله تعالى باعتبار وجوده في الألسنة والصدور متى نظرنا في ذلك التعلق إلى الوجود الذاتي لم يحكم بمنع ذلك والله أعلم بمراد الشاعر .

ولا غـــرو أن يـــدرى لمعنـــى تعلـــق بمـــــسموع ســـــمع مبتـــــدا ومـــــتمم
علـــى أن ذا المعنـــى قـــديم وجـــوه طـــرا وتنـــامى فـــي لـــسانك فـــافهم

أشار بهذا أيضا إلى الجواب أي لا عجب أن يعلم لكلام الله تعالى تعلق بمسموع السمع أي وجود في السمع قال تعالى حتى يسمع كلام الله على أن ذلك المعنى قديم وجوده الذاتي الخارجي وطرأ وتناهى في اللسان المسموع صوته فالمتعلق بالسمع واللسان الوجود غير الخارجي والقديم هو الوجود الخارجي تنبيه سماع أهل الجنة كلام الله تعالى يسمعونه غير متلو ولا مقروء قاله في الفرائد

فلـــم تتـــل إذ مـــا تتـــل إلا كلامـــه ولـــــم تتعقـــــل غيـــــره فـــــي الـــــتفهم
ولـم يـر فـي هـذي المـصاحف غيـره ولا غيـــره فـــي اللـــوح أيـــان يرســـم

هذا منه عد للوجودات غير الخارجية وقد تقدم تبيين ذلك في كلام السنوسي

ولا كـــــسب فـــــي تأليفـــــه متعلـــــق لـــــذا كـــــان إعجـــــازا لكـــــل مكلـــــم
ومعجـزة الهـادي التـي قـد أتـى بهـا تحـــــد بفعـــــل المجتبيـــــه المفهـــــم
لنـــا صـــدقه والجـــنس للـــنفس منـــتم فكـــــان اخـــــتلاف فيـــــه لـــــم يتـــــوهم

هذه الأبيات كأنها إشارة إلى سؤاله المتقدم وهل بالوجود الخارجي أي لم يتعلق كسب لمخلوق في تأليف القرآن لذلك كان معجزا لكل أحد والمعجزة تحد بفعل المجتبي النبي أي المختار له من الخلق وهو الله تعلى المظهر بالفعل المذكور صدقه للمرسل إليهم مع أن جنس الفعل المذكور مما تتعلق به قدرة النفس الحادثة وقوله فكان اختلاف فيه إلى آخره مسبب عن قوله ولا كسب في تأليفه متعلق قال تعلى ولو كان من عند غير الله لو جدوا فيه اختلافا كثيرا قال السنوسي ودخل في الحد من قوله فعل لله تعلى أي الفعل الذي تعلقت القدرة الحادثة به كتلاوة النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فهو معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره إذ غيره إنما يحكيه عنه وليس هو الآخذ له عن الملك ودخل ما لا تعلق به للقدرة الحادثة كإحياء الموتى وتكثير الطعام ونحو ذلك وعين بعضهم في المعجزة

أن تكون من النوع الثاني لا الأول فمعجزة القرآن على هذا نظمه الخصوص به واطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك دون سائر الناس وكلا الأمرين ليس من فعله ولا من كسبه وهذا الثاني أظهر انتهى كلام السنوسي

وللشيء وصف باعتبار وجوده له باعتبار الخاطري أو الفم
منافيه والتحقيق من يؤته يفز بعلم خليق بالعناية محكم
أفدتكم حكم المسالة منكم ولازمها ديمان كل محكم

أي للشيء من حيث اعتبار وجوده غير الخارجي ينافي وصفه باعتبار وجوده الخارجي كأنه ينحو نحو قوله فصحح للمعنى التعلق إلى آخر ذلك وتقدم بيان ذلك

وهل للإله الله معنى مرادف أم الله للمنشي العباد والمعظم
وإلا يعينه فكلي وجوده حصرناه في فرد بحكم مسلم
ودل على توحيده كلمة التقى وللكثرة الجزئي ليس بمنتم

سأل هل اسم الجلالة مرادف للإله في معنى أم غير مرادف له فالله علم للمنشيء العباد بالتعيين وعلى أنه لم يرادفه وذلك معنى قوله وإلا يعينه أي لم يعين الإله الله لم يكن علما والعلم هو المعين فأفراد الإله حصرناها في مسمى الله وهو معنى قوله فكل وجوده حصرناه في فرد بحكم مسلم ونصت كلمة التقوى على توحيد على توحيد الإله أي أنه لم يوجد منه فرد إلا الله ولما حصر في جزئي غير موهم للكثرة لأن ما حصر فيه غير موهم للكثرة فصار موهما لها فالإله كلي لأنه لم يمتنع نفس تصور معناه من صدقه على كثيرين ومعناه المستغني عن كل ما سواه المفتقر إليه كل ما عداه لكن ذلك الكلي لم يوجد منه إلا فرد واحد مع استحالة الغير فلا أله إلا الله قصر إفراد إن كان المخاطب مجوسيا أو ثنويا وقصر قلب إن كان المخاطب دهريا أو طبيعيا وقصر تعيين إن كان المخاطب واقفا أو شاكا لا إله إلا الله قضيتان اسميتان لأن كلا من النفي والإثبات يقتضي طرفين يتعين الحكم بينهما فطرف الإثبات هو الاسم الجليل مع صحة الإيجاب من إله وطرف النفي هو أحد المقدر الذي هو مستثنى منه مع صحة النفي من إله والجملة دالة على الثبوت فدلتا على استمرار الثبوت في المثبتة

واستمرار النفي في المنفية والاستمرار فيهما ممتنع الزوال وهو العبر عنه بالضرورة في أحكام المنطق قال الكوازي المدني تفسيرهما لا أحد إله إلا الله إله بالضرورة.

وما وجه يا مولود فصل محمد أمام رسول الله في قول مسلم
فإن تتأمل إن تكن متأملا بذهن صحيح ثاقب الفهم تفهم
علمت إذن كون النصارى قد أفرطوا فيوهم وصل ما ادعوا في ابن مريم

أي ما وجه فصل محمد قبل رسول الله في قول المسلم لا إله إلا الله محمد رسول الله أي لم فصلت الجملة الثانية عن الجملة الأولى السيوطي تعاطف الجمل يدعى وصلا وتركه الفصل إلى آخر فأجاب نفسه بقوله فيوهم وصل ما ادعوا في ابن مريم أي إنما لم يقل لا إله إلا الله ومحمد رسول الله لخوف إيهام عطف محمد على اسم الجلالة كما ادعى النصارى لعنهم الله تعلى في عسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام وتقرر في علم المعاني من باب الوصل والفصل أن من موجبات الفصل شبه الانقطاع السيوطي

و شبه الانقطاع كون عطف يوهمه على سواها إلى آخره

يقول الشاعر

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلا أراها في الظلام تهيم

فلو عطف أراها لظن عطفه على أبغي وليس بمراد بل يفسد المعنى لإيهامه أنه من مظنونات سلمى عكس قول المجيب لهارون الرشيد لما سأله لا وأيد الله الأمير فقال الرشيد هذه أحسن من واوات الأصداغ على خدود الملاح فلو حذف الواو لتوهم أن الكلام جملة واحدة دعائية من نحو لا ردها الله عليك.

ومـا وجهـه فـي الحمـد لله إن نقـل بـصدق اتفـاق الجملتـين ونحكـم
ولـم نجعـل الأولـى إذن غيـر آيـة كمـا قالـه قـوم مـن أهـل الـتعلم
قـد اسـتؤنفت هـذه الأخيـرة واقتـضت جوابـا لمـضمون الكـلام المقـدم

أي ما وجه الفصل أيضا في الحمد لله حيث لم تعطف على جملة بسم الله الرحمن الرحيم وسؤاله شرط في شرطين إن لم نجعل بسم الله الرحمن الرحيم آية أما إذا جعلت آية فلم يسأل عنه والقاني أن تكون الجملتان متفقتين في كونهما إنشائيتن أو خبريتين أما إذا لم يتفقا فلا سؤال فقد تقرر في باب الوصل والفصل كمال الانقطاع السيوطي: أما كمال الانقطاع فلا خلاف بين إنشاء وخبر إلى آخر إلى قوله:

ملكته حبلي ولكنه ألقاه من زهد على غارب
وقال إني في الهوى كاذب انتقم الله من الكاذب

فأجابه عن سؤاله رحمه الله بقوله:

قد استؤنفت هذي الأخيرة واقتضت جوابا لمضمون لكلام المقدم

وقد تقرر أن الاستئنافية تفصل السيوطي:

وشبه الاتصال كونها جواب سؤال الأولى إلى آخره

كقوله تعلى قالوا سلاما قال سلام أي فماذا قال هو فقيل قال سلام ومنه:

زعم العواذل أنني في غمرة صدقوا ولكن غمرة لا تنجلي.

كأنه قيل أصدقوا فقال صدقوا قال عبد القاهر كل ما في القرآن من قال بلا عطف فقدره على الاستئناف كأنه قيل اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فيقال ما تقرأ من اسم الله فيقول الحمد لله رب العلمين.

عنيـــــدي إن حاجيتـــــه وأجبتـــــه ولــم يــدر لــي مــا ذا أقــول ويفهــم
فمــا ذا عــسى يومــا ينــاظرني بــه ويجعــل أهــلا أن يكــون مكلمــي

انتهى ما وجدت وروايتي لها وجادية ولم أتيقن أن ما كتبت عليها صحيحا وتجشمته على عجل امتثالا لأمركم ووفاء بحق الأشياخ فأصلحوا ما هفا به القلم وأخطأ فيه الفهم فقلما ينجو مصنف ولاسيما يوم بدارة جلجل فادعوا لنا بعافية الدارين مع كفاية همهما بل لا تنسونا أبدا ما أمكن في صالح دعائكم ولاسيما في مرجو آنائكم متعنا الله بحياتكم وأفاض علينا من نوالكم وأنواركم وبركاتكم بجاه سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.